القطع التذريّة التدمريّة

للأستاذ هنري سيريغ

(خلاصة عن المقال المنشور في القسم الغربي من المجلة)

شكل هذه اللوحات الصغيرة مستدير أو مربع أو شبيه بالمستطيل . وعلى وجه كل واحدة منها صورة ناشئة عن انطباق قالب ما عليها . أما ظهرها فانه سطح غير مسوى حدث عن ملامسة يد الصانع لها . وهي تشبه اللوحات الكثيرة التي تسمى باسم (لوحات عشتروت) والتي توجد بكثرة في سورية .

ومصدر لوحاتنا تدمر . وقد عثر عليها الفلاحون في ظروف مختلفة . ويتساءل المرء عما توخاه الأقدمون من صنعها . وللجواب على هذا السؤال يلاحظ انه وجد ما يشبهها في ولايات متعددة من الامبراطورية الرومانية . وتدل القوالب التي استخدمت في صنعها أنها لا تفترق بشيء عن القوالب التي صنعت منها بعض أنواع الحلوى التي كانت توزع على الناس في بعض الأعياد .

ومن هذه اللوحات التدمرية لوحة كتب عليها دعاء إلى الاله (بعل شامين) . فهي اذن حجاب أو رقية . ولا يستغرب ان تكون كل اللوحات كذلك . ومهما يكن فانها أدوات استخدمت للتعبير عن تقى المتعبدين . ويدل على ذلك خاصة ما عليها من صور تمثل الآلهة . ومعظمها في متحف دمشق . ومنها :

١ — لوحة مستديرة (قطرها ٦ سم) . وعليها جذع اله حليق ، وعلى رأسه القبعة المسماة (كالاتوس) وتاج له نهايتان متطايرتان . وهو متسربل بالدرع ، وفوقه المعطف المسمى (كلاميد) .

٢ — لوحة مستديرة (قطرها ٥،٥ سم) . وهي من نوع النموذج السابق . إلا ان في (كالاتوس) الالـه ثنيات صغيرة .

٣ — لوحة مستديرة (قطرها ٦،٩ سم) وهي من النموذج نفسه ، والكالاتوس فيه مثني أيضا . وكانت الآلهة التدمرية تمثل باللباس العسكري والكالاتوس . غير ان التاج المعقود من الخلف الذي تتطاير نهاياته ، يخصص صورة الالـه (بل) الذي هو كبير الآلهة في تدمر . ولا ريب ان اللوحات الثلاث المتقدمة تمثله نفسه .

٤ — جزء من لوحة (ارتفاعها الحالي ٤،٩ سم) . وتمثل الـهاً واقفاً حليقاً ، ورأسه حاسر . ويلبس ثوباً ومعطفاً (كلاميد) معلقاً على كتفه الأيمن . وفي معصمه الأيمن إسوار ، ويستند بهذه اليد على صولجان طويل . اما يده اليسرى فتمسك مقبض سيف معلق الى جانبه . والى يمينه (يسار الناظر) الـه آخر واقف ، وحول رأسه هالة من الأشعة ، وهو لابس ثوباً ومعطفاً ملقى على كتفه الأيسر . والى يساره (يمين الناظر) آثار لهالة الـه ثالث كانت صورة القمر بين كتفيه . ويظن انه يجب القول إننا امام صورة تمثل الثالوث التدمري المعروف أي كبير الآلهة (بل) ، بين الـه الشمس (ايرحبول) والـه القمر (أغليبول) .

٥ — لوحة مستديرة (قطرها ٥ سم) . وتمثل عليها صورة الـه حليق ، حول رأسه اشعة ، وهو متسربل بالدرع ، وعلى كتفه الأيمن يتعلق المعطف (الكلاميد) .

٦ — قطعة من لوحة كالسابقة (طولها الحالي ٤،٨ سم) . وعليها نفس الصورة التي لم يبق منها إلا رأس الالـه .

وأكبر الظن ان هذا الالـه هو أحد آلهة الشمس الثلاثة (ايرحبول) او (ملك بل) او (شمش) التي كانت تعبد في تدمر .

٧ — لوحة مستديرة مشوهة يمثل عليها الـه حليق متسربل بالدرع ولابس المعطف ، وفي كتفيه الهلال ، وحول رأسه الهالة المشعشعة . والى يمينه كتابة تدمرية ذات ستة اسطر . وهذه اللوحة محفوظة في قاعة المداليات في باريس . والالـه الممثل عليها هو الـه القمر (اغليبول) . والكتابة مؤلفة من دعاء موجه إلى الالـه (بعل شامين) . وذلك لأن هذا الأخير رئيس ثالوث آخر من الآلهة ، فيه ايضاً الـه القمر المذكور و (ملك بل) الـه الشمس . وتمتاز هذه اللوحة عن غيرها بدقة صنعها .

٨ — جزء من لوحة (طولها الحالي ٦ سم) . ويمثل فيها جمل رافعاً رأسه ، وعلى ظهره رجل حليق حاسر الرأس ويرتدي ثوباً ومعطفاً ، وخلفه معطف آخر ، والى جانبه جعبة سهامه ، وخرجه . وبيد هذا الرجل عصا يهش بها على رأس الجمل .

٩ — لوحة ذات شكل بيضوي (ارتفاعها ٥،٧ سم) ، ويمثل عليها المشهد الذي وصفناه في اللوحة السابقة ، ولا تختلف عنها إلا ان الجمل فيها لا يرفع رأسه .

ويظن ان الشخص الممثل هنا في اللوحتين السابقتين هو (ارصو) الـه نجم المساء الذي كان و (عزيزو) الـه نجم الصباح حاميين للقوافل .

١٠ — قسم من لوحة (طولها الحالي ٦،٥ سم) . وتمثل الـهاً بدرع ومعطف ، مستنداً على صولجان طويل أو على رمح ، رأسه ناقص .

١١ — جزء من لوحة (طولها الحالي ٣،٨ سم) ، وعليها النصف العلوي من جسم ربة . وهذه الربة محاطة بعمودين يعلوهما قوس .

١٢ — جزء من لوحة (طوله الحالي ٤،٨ سم) ، وعليه ربة واقفة ومرتدية ثوباً ومعطفاً ، ومستندة بذراعها الأيمن على صولجان طويل .

١٣ — لوحة مستديرة (قطرها ٧ سم) ، ويمثل عليها جذع ربة لها شعر ذو ذوائب تنحدر على كتفيها . وهي تبعد بيدها اليسرى احدى هذه الذوائب ، وتمسك بيدها اليمنى شيئاً مستديراً (تفاحة او كرة ؟) .

١٤ — لوحة مستديرة (قطرها ٥،٥ سم) وعليها صورة ربة ترى ، من ثلاثة ارباع وجهها ، على حين ان وجهها وجذعها ممثلان من الأمام . وفي اذنيها قرط ، وهي تلبس ثوباً ومعطفاً ، وتمسك صولجاناً بيدها اليمنى ، وزهرة او ثمرة خشخاش . وإلى جانبها الأيسر أسد جالس ، وإلى جانبها الأيمن آثار تدل على وجود اسد آخر . ويوجد إلى يمين هذه الربة جذع ربة آخر حول رأسها هالة . وتحت هذه الصور نجم في هلال . وهذه اللوحة محفوظة في المتحف البريطاني .

ولا ريب ان الربة بين الأسدين هي ربة سورية الكبرى . وتوجد ثلاث ربات تدمريات كن يمثلن مع الأسد . وهن : تيكة (ربة السعادة) ، وكانت تمثل وهي تحمل تاجاً على شكل اسوار قلعة مصغرة . وليست هي هنا . ثم الربة (آثار كاتيس) التي تأكد ان عبادتها كانت منتشرة في تدمر . واخيراً الربة (اللات) التي تمثلها

قطعة فخارية تدمرية اخرى على الشكل الذي مثلت عليه الربة المتقدمة . وإلى جانبها اسمها مكتوب باللغة التدمرية . بيد ان اللات تمثل عادة على هيئة الربة (أثينه) الاغريقية . وهذا ما يدعونني إلى القول ان ربتنا هي (أتاركاتيس) . أما الجذع القائم في يسار اللوحة فأكبر الظن انه (كرونوس) أي شمس الليل ، او انه شكل من اشكال الاله (بل) او شخص اسمه (ايلابيلوس) الذي هو (ساتورنينوس) . واخيراً فان هالة الجذع المصور إلى يمين اللوحة تدل على انه اله شمسي .

وخلاصة القول ان تفسير هذه اللوحة ما يزال لغزاً لم يحل تماماً ، ويدل على ان معارفنا في اصول التصاوير الدينية التدمرية ما زالت قليلة على الرغم من الآثار الكثيرة التي ظهرت في جهات مختلفة من مدينة تدمر .

١٥ — لوحة متطاولة (طولها ٩،٧ سم) تمثل ربة ممثلة حتى ركبتيها ، ولابسة ثوباً وعلى رأسها (كالاتوس) الذي ينحدر منه منديل طويل يلتف حول جسمها ، ويدها اليمنى مرفوعة ومفتوحة كأنها تبارك بها ، ويدها اليسرى لا يتميز منها شيء . ويظن انها تمثل الربة (أتاركاتيس) .

١٦ — لوحة مستديرة (قطرها ٨،٤ سم) تمثل أبا هول مؤنث جالساً إلى اليسار . ويرى وجهه من الأمام ، ويزين جيده عقد واذنيه قرط . وهذه الصورة نادرة في الآثار التدمرية . وهي علامة الربة عشتروت الفينيقية .

١٧ — لوحة مستطيلة (بعداها ٥ سم × ٦ سم) . وترى في يسارها الربة (أرتميس) وهي تستل سهما من جعبتها ، وتمسك بيدها اليسرى قوسها . وإلى يمينها اله يمسك عموداً .

١٨ — لوحة مستديرة (قطرها ٦ سم) . وعليها جذعا ربة ورب .

١٩ — لوحة مستديرة (قطرها ٥،٨ سم) ، وهي كسابقتها .

ولا ريب ان هذه اللوحات الثلاث الأخيرة تمثل زوجاً من الآلهة وهما الاله (نيبو) ورفيقته ، تارة على الشكل الاغريقي — الشرقي ، وتارة على الشكل الاغريقي لأبولون وارتميس . ويظن ان رفيقة (نيبو) هي الربة البابلية (ناناي) التي اتخذت اسم (ارتميس) أو (أزاناتكونا) .

٢٠ — لوحة مستطيلة (بعداها ١٠ سم × ٦٫٥ سم) ، وعليها ربة واقفة وعلى رأسها خوذة ولابسة ثوباً ومعطفاً وبيدها اليسرى ترس ، وتستند باليد اليمنى على رمح . وإلى جانبها رجل صغير القامة وبينهما ثعبان . وهذه اللوحة موجودة حالياً في مجموعة السيد (ميشيل شيحا) في بيروت . ولا شك ان الربة الممثلة هي (أثينه ـ اللات) التي كانت عبادتها منتشرة في كل البلاد السورية التي نفذ اليها العرب ، كما ان الثعبان الممثل هو (شادرافا) ثعبان الربة المعروف .

٢١ — قالب من الفخار (بعداه ١١ سم × ٥٫٦ سم) ، وعليه الـه فارس يلبس سروالاً وثوباً فضفاضاً ، وفي عنقه قلادة غليظة ، وعلى رأسه شعر غزير . وهو يمسك رمحاً بيده اليمنى ، وسيفا بيده اليسرى ، وإلى يسار رأسه هلال .

ومن المؤكد أن هذا القالب مصنوع في بلاد الرافدين ، ومنها أتي به إلى تدمر .

(تعريب وتلخيص مجلة الحوليات الأثرية)